قوائم المحتويات متاحة على ASJP المنصة الجزائرية للمجلات العلمية
الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية
الصفحة الرئيسية للمجلة: www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/552

التخييل والتداول عند محمد العمري

The Imagination and Pragmatic According to Mohammed El Omari

عبد الباسط ضيف [1] *، أ.د عيسى أخضري [2]
[1] طالب دكتوراه، جامعة عمار ثليجي الأغواط، كلية الآداب واللغات، مخبر اللغة العربية وآدابها- الجزائر.
[2] أستاذ التعليم العالي، جامعة زيان عاشور الجلفة - الجزائر

Key words:

Imagination,

Pragmatic,

Argumentation,

Rhetoric,

Mohamed El Omari,

Discourse.

Abstract

The Arabic rhetoric is always a subject of discussion and questions about its essence. It is a matter that needs to be searched deeply. Mohamed El Omari is one of these who contributed to demonstrate the essence of rhetoric. He thinks that it is an area contested by two poles, an imaginary based on poetry, and a pragmatic pole based on discourse. It is characterized by connection and separation. Thus, it may be a rhetoric that coordinates between poetry and discourse. According to him we must discuss each of them.

From this, the essential objective of this research is to determine the essence of rhetoric through its overlap with other epistemic fields, namely: argumentation. This is because the argumentation of today is no longer that is content with one path. Thus, the results of the research strongly agree with the rhetoric which has a direct link with argumentation.

معلومات المقال
تاريخ المقال:
الإرسال :2020-04-12
القبول : 2020-06-21

الكلمات المفتاحية:
تخييل،
تداول،
حجاج،
بلاغة،
محمد العمري،
خطاب.

ملخص

كانت البلاغة العربية ولا تزال إلى اليوم محلا للنقاش والتساؤل حول ماهيتها وكينونتها، ومسألة تدعو إلى طول تمحيص وتدقيق. ويُعدّ الباحث "محمد العمري" من الذين أسهموا في إماطة اللثام عن جوهر البلاغة ومادّتها، إذ يراها منطقة يتنازعها قطبان، قطب تخييلي يقوم على الشعرية وقطب تداولي يقوم على الخطابية، فارتبطت البلاغة بذلك بالشعر وما يقوم مقامه حينا، وبالخطابة وما يحلّ محلّها حينا آخر. وبين هذا وذاك ترتسم حدود البلاغة، فتتسم بالفصل أو الوصل بينهما وطلك راجع إلى طبيعة وخصوصية كل خطاب على حدة، ممّا يفسح المجال واسعا إلى إمكانية قيام بلاغة عامة تنسّق بين ما هو شعري (تخييلي) وبين ما هو خطابي (تداولي).

وانطلاقا من ذلك كان هدف البحث قائما أساسا على تحديد ماهية البلاغة، عن طريق تداخلها وتجانسها مع حقول معرفية عديدة، ومن جملتها: الحجاج. ذلك أنّ البلاغة اليوم لم تعد تلكم البلاغة التي تجنح إلى زاوية بعينها، مما يحدث تغييرا في الوجهة والوظيفة. وعلى ذلك كانت نتائج البحث ذات صلة وثيقة بالبلاغة التي لها احتكاك مباشر بالحجاج.

* Corresponding author at: Laboratory of Arabic language and literature, faculty of letters and languages, university Amar Telidji Laghouat, ALGERIA
Email : abdelbassetdif@gmail.com

1ـ مقدمة

عرفت البلاغة العربية قديما عدّة توجهات جعلتها لا تستقر عند مفهوم واحد، فكانت وليدة المرحلة الزمنية التي نشأت فيها، وهذا ما يفتح باب النقاش طويلا لتحديد ماهيتها، والميدان الذي تخوضه، والمسلك الذي تسلكه، فهناك من ربطها بالبيان وحسن الإبانة، كما اتخذها آخرون عنوانا ورديفا للبديع وما من شأنه أن يدخل في باب الزخرفة وتحسين وتنميق اللفظ، كما حدّدها البعض الآخر في علم المعاني. أمّا حديثا فقد ظهرت دراسات جادة نحت منحى مغايرا عن صاحبتها، ونرصد منها دراسة الباحث "محمد العمري" الذي حاول تقديم قراءة للبلاغة العربية بتتبع مساراتها وأهم المحطات التي شهدتها وصولا إلى بلاغة جديدة قوامها الحجاج. وانطلاقا من ذلك تتضح إشكالية البحث كالآتي:

- كيف اتّسمت البلاغة عند "محمد العمري" ؟ وما مدى تقاطعات القطبين: الشعري و الخطابي وأثرهما على الحجاج ؟

وللإجابة عن هذه الإشكالية اعتمدنا على المجالين: التداولي الممثّل في الشق الخطابي، والتخييلي الممثّل في الشق الشعري. على اعتبار أنّ الباحث " محمد العمري " أطال البحث فيهما، لما لهما من جزيل النفع وعظيم الفائدة في الحقل الأدبي عموما، وعلى الحقل البلاغي خصوصا.

وحتى يتسم مقالنا بالجدية في الطرح والتناول، اعتمدنا على جملة من الأهداف – التي تعدّ من صميم البحث – تمثلت في تحديد دقيق لمفهوم الشعرية وأهم المسارات التي تناولتها وتبلورت فيها، إلى الحديث عن مفهوم الخطابية، وأهم أشكال التخاطب ومقاماته وفاعليته ضمن الدائرة الكلامية، وصولا إلى صور الحجاج المتمثلة في القياس الذي يعد آلية ناجعة في الحكم على الخطاب وتحديد نتائجه، مرورا إلى المثل باعتباره ركيزة يجنح لها الخطيب في تعزيز وتشفيع موقفه، وأخيرا الشاهد إذ يستحضره بين الفينة والأخرى للدحض أو التفنيد أو إثبات صحة ما يقول. وللإحاطة بموضوع البحث أكثر وإيفائه حقه، اعتمدنا على جملة من المناهج والتي تتابعت كالآتي: المنهج التاريخي، الوصفي، التحليلي.

2. الشعرية

لقد ارتبطت البلاغة العربية بمسارين شكلا مادتها وجوهرها، مسار شعري قائم على التخييل والتوهيم، ومسار خطابي قائم على التداول(الترجيح)، ويرجع " العمري " مفهوم الشعرية إلى العناية بمحاسن الكلام وزخرفه، وقد ظهر هذا التوجه مع " ابن المعتز" في كتابه البديع الذي عد نسقا يغذيه الطابع الشعري. (من البديهي أن أول تفكير في اللغة كان تفكيرا بلاغيا؛ فقد ظهرت الملاحظات الأسلوبية قبل ظهور العروض والنحو والمنطق، كما روي من تاريخ تلقي الشعر العربي في الجاهلية وصدر الإسلام. أي قبل ظهور المصطلح البلاغي كنسق لعلم. وهذه حقيقة استنبطها البلاغيون الغربيون أيضا من تاريخ بلاغتهم[...] وكان من مظاهر هذا التفكير ربط الشعر بالعوالم غير العادية؛ بالجن والشياطين، والتنبيه إلى العيوب الإيقاعية والحجاجية فيه. كانت هذه الملاحظات هي المصدر الأول للبلاغة العربية حيث جمعت لاحقا تحت اسم البديع ومحاسن الكلام(ابن المعتز)، وقد تطور هذا المسار من خلال الخصومات حول ماهو بديع وماليس كذلك). (**العمري**، **البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول**، 2012، **صفحة** 28)

وبذلك يمكننا رد الشعرية إلى مجال البديع الذي عد في مرحلة سبقت من مراحل التفكير البلاغي. ممثلا شرعيا للبلاغة العربية التي قامت في بادئ أمرها على الشعر الذي شغل حيزا كبيرا، وكان مرآة عاكسة تصور الحياة اليومية للإنسان العربي، وعن هذه القيمة الشعرية يسوق لنا" العمري " كلاما استقاه من " حازم القرطاجني "، هذا نصه:

(لما كان علم البلاغة مشتملا على صناعتي الشعر والخطابة، وكان الشعر والخطابة يشتركان في مادة المعاني ويفترقان بصورتي التخييل والإقناع... وكان القصد في التخييل والإقناع حمل النفوس على فعل شيء أو اعتقاده أو التخلي عن فعله واعتقاده... وكانت علقة جل أغراض الناس وآرائهم بالأشياء التي اشترك الخاصة والجمهور في اعتقادهم أنها خير أو شر... وجب أن تكون أعرق المعاني في الصناعة الشعرية مااشتدت علقته بأغراض الإنسان... فأما بالنظر إلى حقيقة الشعر فلا فرق بين ماانفرد به الخاصة دون العامة وبين ماشاركوهم فيه، ولا ميزة بين ماشتدت علقته بالأغراض المألوفة وبين ماليس له علقة، إذا كان التخييل في جميع ذلك على حد واحد، إذ المعتبر في حقيقة الشعر إنما هو التخييل والمحاكاة في أي معنى اتفق ذلك). (**القرطاجني**، 1986، **الصفحات** 19ـ20)

ثم مايلبث " العمري " أن يثير انتباهنا إلى حقيقة الشعر التي تتأرجح بين الإلهام والصناعة. فالوعي الشعري -حسب رأيه- إنما هو في موقع وسط بين الواقع والخيال، وهنا تبرز ملكة الشاعر، ملكة تؤهله بأن يجعل من قوله قوة فاعلة، فهو الوحيد الذي ينسج قوله انطلاقا من شعوره به.(إن الوعي الشعري المرتبط بما وصلنا من القصيد العربي قبل الإسلام كان وعيا ملتبسا بين الواقعي و الخيالي، أي لم يكن مقصديا صرفا ولا خياليا صرف. فالشعر، من جهة، صنعة واعية تقوم على معاناة العمل مع اللغة والمحيط الطبيعي والإنساني لمد الجسور وخلق العلاقات [...] والشعر، من جهة أخرى، وحي من الجان أو من القرين الذي يوحي للشاعر، ويلهمه من القول ماليس له على بال. هناك قوة شعرية سحرية تصل إلى تحويل القول إلى قوة مادية فاعلة. لقد تأكد منذ العصر الجاهلي أن الشاعر لايقول الأشياء المقصدية الجاهزة، بل يقول أشياء قد لا تخطر على بال أحد، لأن الشاعر كما استقر عند النقاد والبيانيين فيما بعد، هو من يشعر بما لا يشعر به غيره، ويبلوره لغويا). (**العمري**، **أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة**، 2013، **صفحة** 198)

إن " العمري " بكلامه هذا يصف الشعرية وصفا يصنفها بأنها

قوة سحرية قادرة على أن تحول أي قول شعري إلى قوة ذات تأثير وفاعلية، وهذا ما يجعل الشعر منطويا على اعتبارات ومقاصد حجاجية. (إن عالم الشعرية يسيج موضوعه الذي يشتغل فيه، وهو شكل النص وجماليته. وهو الشكل الذي يتمتع بمفاهيم ومصطلحات ومجال اشتغال متميز. غير أن لا شيء يمنع تدخل عالم الحجاج في نفس حقل الشعر لدراسته باعتبار مقاصده الحجاجية). (**الولي، مدخل إلى الحجاج**، 2011)

3. الخطابية

إذا ما كانت الشعرية تقوم على البعد التخيلي، فإن الخطابية تقوم على البعد التداولي، وكلاهما مسخر لخدمة البلاغة، وتجدر الإشارة إلى أن "العمري" كثيرا ما يستعمل كلمة "خطابية" لتحل محل "فن الخطابة" مستدلا بـ "الشعرية" التي حلت محل "فن الشعر". (فاقترحت كلمة "خطابية" مقابلا "لفن الخطابة"، قياسا على "الشعرية" التي حلت محل "فن الشعر" دون حرج) (**العمري، أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة**، 2013، **صفحة** 28)

وبهذا الاعتبار فالخطابية هي مفهوم واسع تعنى بأشكال الخطاب (السياسي، الاجتماعي، التاريخي...) وبأطرافه (المخاطِب، المخاطَب، الخطاب) وهي عند "أرسطو" ممثلة في (الإيتوس، الباتوس، اللوغوس)، كما تنظر في الأحوال والمقامات التي ترافق الخطاب، ولذلك عدها "العمري" مسألة وظيفية. (إن المسألة الخطابية هي مسألة وظيفية، ولا مجال لترتيب الخطاب ترتيبا قيميا بين الوضاعة والرفعة، بل الترتيب الممكن هو ترتيبه بحسب النجاعة، والنجاعة والفعالية تتم بمراعاة المقامات والأحوال من زاوية الفعالية لا من زاوية القيمة الاجتماعية). (**العمري، أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة**، 2013، **صفحة** 137)

يحيلنا "العمري" بكلامه هذا إلى مسألة في غاية الأهمية، تتعلق أساسا بالخطاب في حد ذاته، إذ تتوقف نجاعته وفاعليته بمدى مراعاته لفكرة المقام، هاته الفكرة التي تناولها البلاغيون العرب القدامى بحرص وإسهاب كبيرين وعلى رأسهم "الجاحظ" الذي ساق لنا "العمري" حديثه في هذا الباب. (ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني، ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات فيجعل لكل طبقة مقاما، حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني، ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات، وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات). (**الجاحظ**، 1998، **الصفحات** 138-139)

وبهذا ترتبط بلاغة الخطابة بعلم البيان الذي يؤسس لفكرة المقام. (فبلاغة الخطابة قائمة على "علم البيان" الذي أرسى الجاحظ دعائمه في فترة كانت فيها الجدالات الكلامية، والبحث عن "الدليل" من القرآن والسنة والمحاورات والنقاشات، محتدة بين الفرق الإسلامية، التي يسعى كل منها إلى إنتاج (خطاب) تكون "بلاغته" كفيلة بكسب أكبر عدد من المؤيدين. لذا فلا غرو أن نجد الجاحظ يطابق بين المعنيين "الخطابي والبلاغي" (تماما مثل مطابقة بيرلمان بين البلاغة والحجاج)، ويهتم بوسائل الإقناع الشكلية والمضمونية (على مستوى الهيئة والخطاب). لذلك اهتم بالمقام وبمحدداته وإمكاناته). (**الطلبة، الحجاج مدخل نظري تاريخي**، 2013، **الصفحات** 884-885)

وعلى ضوء تصور "العمري" لفكرة المقام، والتي تمهد الطريق لإمكانية قيام بلاغة إقناعية، نجد أن "برلمان" و "تيتكاه" قد اشتغلا على بلاغة "أرسطو" التي تولي عناية كبيرة للإقناع، ولا يكون ذلك إلا بتحقق المقصدية من الخطاب، فلا يخلو حجاج من مقصد. (وهذا، وقد حدد بيرلمان وتيتيكاه آراء أرسطو حينما حاولا أن يعيدا إليها طابعها الفلسفي الحقيقي؛ لأن البلاغة الأرسطية تحصر البلاغة في الإقناع، فتعدها خطابا حجاجيا بامتياز. وقد استبعدا تصورات أفلاطون والسوفسطائيين لأنها تقوم على الجدل، والسفسطة، والتشكيك، والمنهج المغالطي، والمناورة الواهمة، واعتماد المثل العليا المطلقة. ويعني هذا أن البلاغة في طابعها العام مرتبطة بالمقصدية الحجاجية). (**حمداوي**، 2014، **صفحة** 29)

ولا يمكن بأي حال من الأحوال الوقوف على هاته المقصدية إلا بتفعيل دور المقام الذي هو في حد ذاته طريق لإحداث التواصل. (ولا بد من مراعاة المقام الحجاجي أو مقتضى الحال، لأن لكل مقام مقالا، ولا بد من تكييف الخطاب مع مقامات المخاطبين، والإحاطة بمجموع المعارف الخاصة بموضوع المحاجة المتعاقد عليها ضمنيا أو ما يسمى بقاعدة الحجج المشتركة التي تجمع المرسل الخطيب والسامع المفترض، مع تغيير موجهات الخطاب الحجاجي بتغير أنماط مخاطبيه). (**الدهري**، 2011، **صفحة** 33)

ومما تقدم ذكره نلمس بجلاء ووضوح تأكيد "العمري" على الحضور الفاعل للبعد الإقناعي في بلاغتنا العربية. (إن هذا البعد هو أحد الأبعاد "الأساسية" في البلاغة العربية، وهو بعد جاحظي في أساسه. وإن تخلي البديعيين عنه في مرحلة لاحقة أدى إلى اختزال البلاغة العربية وتضييق مجالها. وتحظى نظرية التأثير والمقال حاليا بعناية كبيرة في الدراسات السيميائية، ومن ثم الشروع في إعادة الاعتبار إلى البلاغة العربية تحت عنوان جديد: التداولية). (**العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها**، 1999، **الصفحات** 292-293)

4. الوصل بين الشعرية والخطابية

لقد واجهت البلاغة عدة مفاهيم ومصطلحات جعلتها لا تستقر عند مفهوم واحد يضبطها ويحدد ماهيتها، فارتبطت حينا بالخطابة، وحينا آخر كانت وثيقة الصلة بالشعر، ولعل هذا التأرجح الواقع للخطابة بين فني الخطابة والشعر – على اعتبار أن الخطابة ممثلة في الجانب التداولي، والشعر ممثل في الجانب التخييلي – هو تأرجح تمليه الظروف التي مرت بها البلاغة في تاريخ تطورها. وهذا ما دفع بـ "العمري" إلى البحث عن إمكانية قيام بلاغة عامة تنسق بين ما هو شعري وما هو خطابي، لذلك نجده كثيرا ما يستعمل مصطلحي "خطابية" و "شعرية" في إشارة إلى الجانبين التداولي والتخييلي. (يوضح محمد العمري أن كلمة "بلاغة" لا تطرح في السياق العربي

إشكالا في كونها علم الخطاب الاحتمالي بنوعيه التخييلي والتداولي، وذلك نتيجة الدمج الذي مارسه في المرحلة الثانية من تاريخها، كل من عبد القاهر الجرجاني و ابن سنان الخفاجي ثم السكاكي وحازم القرطاجني، وذلك بعد المحاولة التي قام بها العسكري تحت عنوان: الصناعتين. ويقول أنه بالرغم مما أدت إليه عملية الدمج من إقصاء واختزال أحيانا. ومن تحويل المركز أحيانا أخرى (من التخييل إلى التداول خاصة)، فقد ظل شعار الوحدة البلاغية مرفوعا. وينطلق العمري من أن الملاحظات الأسلوبية هي المصدر الأول للبلاغة العربية، وستجمع لاحقا تحت اسم البديع ومحاسن الكلام (ابن المعتز)، وأن الطموح إلى صياغة نظرية عامة للفهم والإفهام أو للبيان والتبيين (الجاحظ) هو المصدر الثاني الكبير للبلاغة العربية). (**العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي**، 2002، **صفحة** 34)

وهذا ما صرح به "العمري" في كتابه " البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول" والذي ألفه انطلاقا من وعيه بضرورة القيام بمثل هذا النوع من الدراسة، حتى يصل بالطالب الجامعي خصوصا، وبالقارئ العربي عموما إلى درجة من الوعي والفهم، تمكنه من قراءة واستيعاب بلاغة جديدة ذات بعدين: تخييلي وتداولي. وفي ذلك يقول: (فللبلاغة العربية، إذن، مهدان كبيران أنتجا مسارين كبيرين: مسار البديع يغذيه الشعر، ومسار البيان تغذيه الخطابة. ونظرا للتداخل الكبير بين الشعر والخطابة في التراث العربي. فقد ظل المساران متداخلين وملتبسين رغم الجهود الكبيرة النيرة التي ساهم بها الفلاسفة وهم يقرؤون بلاغة أرسطو وشعريته). (**العمري، البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول**، 2012، **صفحة** 29)

وبهذا الكلام يكون "العمري" قد لفت انتباهنا إلى النسق العام الذي تقف عنده البلاغة، وهو نسق يتمتع بثنائية التخييل والتداول. (وقد نشرنا مقالة في مجلة فكر ونقد (ع، 25، 1999) بعنوان " البلاغة العامة والبلاغة المعممة"، حاولنا فيه رفع اللبس عن موقع الخطاب التداولي والإقناعي من البلاغة، إذ جعلناه أحد وجهي هذه العملة، ووجهها الثاني التخييل، فالبلاغة تضم في جانب منها كل الخطابات التخييلية من شعر وسرد وغيرهما، كما تضم في جانبها الثاني كل مكونات الخطاب التداولي). (**العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي**، 2002، **صفحة** 6)

وانطلاقا من ذلك فإن إمكانية الوصل بين ما هو شعري وما هو خطابي أمر لا مناص منه، فالعلاقة بينهما علاقة اتصال لا انفصال، وهذا ما عبر عنه "رشيد يحياوي" بقول نقله عن "الجاحظ": (إن العلاقة بين الخطابي والشعري لم تكن أبدا علاقة تضاد، بل كان الوعي بالتقارب بينهما قديما، وقد ذهب بعض النقاد إلى أن بإمكان بعض المبدعين الجمع بين الشعري والخطابي كأن يكون المبدع شاعرا وخطيبا وإن كان ذلك قليلا). (**الجاحظ**، 1998، **صفحة** 121)

وإذا ما هممنا الوصل بين الشعرية والخطابية، لا بد من التعرض إلى مصطلحات تعد نقطة الالتقاء بين دائرتي التخييل والتداول، وهذا ما عناه "العمري" في مطلع حديثه عن ضرورة الاعتماد على نظام مصطلحي عند الوصل بين ما هو شعري وما هو خطابي، لأن ذلك ضروري لقيام بلاغة عامة. (إن قيام بلاغة عامة يتطلب منظومة مصطلحية تعبر عن المشترك بين التخييل والتداول، من جهة، وتميز بعض الخصوصيات التي لم تأخذ ما تستحقه من اهتمام في الدرس العربي، من جهة ثانية. ومن المصطلحات التي وجدنا حاجة لوضعها أو نفض الغبار عنها مصطلحا المستمَع والإنشاء. وأول ما نحتاج إليه في هذا الصدد كلمة تدل دلالة اصطلاحية على منتج الخطاب بقطع النظر عن كونه خطيبا أو شاعرا (أو كاتبا)، الكلمة التي تقابل لفظ production (أي الإنتاج)، ويشتق منها في الوقت نفسه ما يقابل لفظ (auteur ((أي المؤلف). وقد وجدنا أن اللفظ العربي "الإنشاء" ومنه "المنشئ" يعبر عن هذا المعنى بدقة، فاعتمدناه بعد إعادة تعريفه). (**العمري، أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة**، 2013، **صفحة** 22)

وعن مصطلح "الإنشاء" الذي تكلم عنه "العمري" يسوق "محمد الولي" كلاما لـ "حازم القرطاجني" يصف فيه طبيعة الوصف بين الشعرية والخطابية، وطبيعة المنشئ في كل منهما.

(إن التخيل هو قوام المعاني الشعرية والإقناع هو قوام المعاني الخطابية. واستعمال الإقناعات في الأقاويل الشعرية سائغ، إذا كان ذلك على جهة الإلماع في الموضع بعد الموضع، كما أن التخاييل سائغ استعمالها في الأقاويل الخطابية في الموضع بعد الموضع. وإنما ساغ لكليهما أن يستعمل يسيرا فيما تقوم به الأخرى، لأنّ الغرض في الصناعتين واحد، وهو إعمال الحيلة في إلقاء الكلام من النفوس بمحل القبول لتتأثر لمقتضاه. فكانت الصناعتان متآخيتين لأجل اتفاق المقصد والغرض فيهما. فلذلك ساغ للشاعر أن يخطب لكن في الأقل من كلامه، وللخطيب أن يشعر لكن في الأقل من كلامه). (**الولي، الحجاج مدخل نظري تاريخي**، 2013، **الصفحات** 73-74)

فكلام "حازم" هنا يقودنا إلى مصطلح الإنشاء، حيث يجوز للشاعر أن يعتمد على القليل من المقنعات، كما أن الخطيب هو الآخر مرخص له أن يوظف القليل من التخييلات. (ولهذا نبه الفلاسفة ومعهم حازم إلى أن الخطابة قد تستعمل التخييل، والشعر قد يستعمل الإقناع كل في حدود). (**يحياوي**، 1991، **صفحة** 126)

أما عن المصطلح الثاني (المستمَع) الذي رصده "العمري" فقد جاء ليدل على معنى أوسع من فكرة المقام، وفي ذلك يقول: (أما "المستمَع"، على وزن مجتمع فتدل على ما اشتقت منه صيغة وأصواتا: أي مستمعون في سياق مكاني محدد، وهي كلمة دقيقة لا تغني عنها كلمة "مقام" ولا كلمة "سياق"، ولا كلمة "مستمعين" ولا " جمهور"، كما في بعض الدراسات). (**العمري، أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة**، 2013، **صفحة** 22)

(ولعل القارئ يلتقي لأول مرة بكلمة مستمَع، وقد دأبت على استعمالها مقابلا لكلمة auditoire، وهي تعني المقام الخطابي

بمكوناته الثقافية والزمانية والمكانية. فبدون التفاهم حول هذه المصطلحات سيتعذر التخاطب في هذا الموضوع). (**العمري، البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول**، 2012، **صفحة** 14)

5. الفصل بين الشعرية والخطابية

إن التداخل الحاصل في البلاغة بين الخطاب التداولي (الخطابة) والخطاب التخييلي (الشعر) من شأنه أن يساهم في الفصل بينهما، وذلك لطبيعة وخصوصية كل خطاب على حدة، وعن إمكانية هذا الفصل يتحدث "العمري" قائلا:

(لا يختلف المدافعون عن النسق البلاغي العام مع المرتابين في إمكانية قيامه في أن التخييل والتداول (أو الحجاج بشكل أدق) يلتقيان في أنهما خطابان قائمان على الاحتمال؛ الاحتمال توهيما أو ترجيحا، التوهيم في التخييل والترجيح في التداول الحجاجي، فحتى تفريق أرسطو لا يعدو جهة الاحتمال وجودا وعدما: فخطاب الشاعر "كذب" محتمل الصدق، وكلام الخطيب صدق محتمل الكذب. ومع ذلك فمن الدارسين من رجح الخصوصيات النوعية لكل جنس ففصل). (**العمري، البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول**، 2012، **صفحة** 15)

وبناء على هذا الفصل بين ما هو خطابي وما هو شعري. تتحدد المعالم الكبرى والتي تسمح بقيام بلاغة عامة تتقاطع فيها التصورات التخييلية مع التصورات التداولية (المقنعة) وهذا تبعا لتغير وتعدد النصوص.

(ومن هنا فإن الخطابين التداولي/الحجاجي والتخييلي/ الشعري خطابان احتماليان، وبذلك يكونان موضوعين للبلاغة، ونحن هنا نتحدث عن ثنائية قطبية لضرورة منهاجية، أما من حيث الممارسة فإن التداخل بين الخطابين التداولي والتخييلي حقيقة واقعة تتفاوت مسافتها حسب النصوص والتيارات الخطابية عبر الأزمنة والحضارات (الخطابة العربية القديمة مثلا خطابة شعرية، كما بينا في كتابنا في بلاغة الخطاب الإقناعي). ومن هنا تحدث كل من ريكور و روبول في مناقشتهما لقضية احتمال قيام بلاغة عامة للحجاجي والشعري، وقبول ذلك عند أحدهما ورفضه عند الآخر، عن منطقة التقاطع التي استعملا فيها معا لفظ région ذي الحمولة الجغرافية، أي الإقليم. وفي هذا النطاق يدخل جهد بعض الباحثين في بيان شعرية الحجة وحجية الصور. وهذا مبحث في غاية الأهمية والعمق). (**العمري، الحجاج مبحث بلاغي فما البلاغة؟**، 2013، **صفحة** 121)

إن هذا التداخل والتفاوت بين الخطابين : (التداولي والتخييلي) ينبئ عن الخصوصية التي ينفرد بها كل منهما، إذ يظل مجال اشتغال كل خطاب ضمن حقل التخاطب مبانيا لمثيله وقرينه، واعتمادا على هذه الخصوصية التي تميز بين الخطابين، فقد اقترح "العمري" لفظين يشير كل منهما إلى الخصوصية النوعية لكل خطاب.

(وللدلالة على الخصوصية النوعية لكل من المجالين التداولي والتخييلي ومدى التداخل والتخارج بينهما احتجنا إلى لفظين يدل كل منهما على الخصوصية الجوهرية لأحد المجالين، لفظين يقابلان المصطلحين اللاتينيين figure و argument. فاستعملت كلمتي صورة وحجة. وقد اجتهد التداوليون، لسانيين ومناطقة، في بيان الأبعاد الحجية للصورة، (الاستعارة والسخرية خاصة) كما اجتهد البلاغيون في بيان الأبعاد الصورية (أي التخييلية) للحجة). (**العمري، أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة**، 2013، **صفحة** 22)

وعن خصوصية كل خطاب يسوق لنا "العمري" حديثا نقله عن "حازم القرطاجني" هذا نصه: (وينبغي أن تكون الأقاويل المقنعة، الواقعة في الشعر، تابعة لأقاويل مخيلة، مؤكدة لمعانيها، مناسبة لها فيما قصد بها من الأغراض، وأن تكون المخيلة هي العمدة. وكذلك الخطابة، ينبغي أن تكون الأقاويل المخيلة الواقعة فيها تابعة لأقاويل مقنعة، مناسبة لها، مؤكدة لمعناها، وأن تكون الأقاويل المقنعة هي العمدة). (**العمري، الحجاج مبحث بلاغي فما البلاغة؟**، 2013، **صفحة** 123)

كما أن لكل من الخطابين (التخييلي والتداولي) خصائص بلاغية يقومان عليها، (إن الإقناع والتخييل غايتان تميزان الشعر والخطابة. فالقصد من الإقناع إيقاع الظن والقصد من التخييل بسط النفس للقيام بعمل ما أو قبضها عنه. ولكل من الغايتين خصائص أسلوبية وغير أسلوبية يقومان عليها). (**يحياوي**، 1991، **صفحة** 125)

وإذا ما أردنا الوقوف على طبيعة الفصل القائمة بين الشعرية والخطابية، فإن ذلك يتطلب معرفة واسعة تستند إلى تمحيص وتدقيق للمنطقة التي يتقاطع فيها التخييل مع التداول، وذلك ما أشار إليه "العمري" بقوله: (إن ظهور مفهوم الخطاب في المجالين: اللساني (التواصلي) والفلسفي (الحواري)، ومحاولة تعميم نظرية شاملة، سواء تحت مفهوم علم الخطاب أو علم النص أو السيميائيات لم يحل المشكل، ذاك أن جاذبية القطبين نحو الخارج (الانفصال) والداخل (الاتصال) ما انفكت تتقوى، ولذلك تطلب الأمر فحص المنطقة التي يتقاطع فيها التخييل ممثلا بالشعرية، والحجاج ممثلا بالخطابية (الخطابية : ترجمة لكلمة Rhétorique بالمفهوم الأرسطي الضيق الذي يجعلها مقابلة للشعرية (Poétique) ومعارضة لها)). (**النقاري**، 2006، **صفحة** 10)

ويعد "بول ريكور" من الذين استعملوا لفظ Région في سياق فصله بين الشعرية والخطابية، إذ تختص كل واحدة منهما بهدف ووظيفة معينة على خلاف نظيرتها. (وبرغم اعتراف الباحث بوجود منطقة تقاطع واسعة؛ تستحق لفظ région ذا الدلالة الجغرافية القوية، فإن ذلك لا يكفي، في نظره، لجعل هذا الإقليم المشترك عاصمة فيدرالية للشعرية الخطابية؛ مع كل ما تضمنه هذه الفدرالية من حرية في معالجة خصوصيات الطرفين. ويعلل هذا الرفض باختلاف المبحثين في المنطلق والهدف [...] من الأكيد أن هناك خطابة في الشعر وشعرا في

الخطابة، غير أن الأمر ليس بنفس القوة في الحالتين؛ فالشاعر لا يحاجج بمعنى الكلمة، حتى وإن كانت شخصياته تحاجج؛ فالحجاج عنده يساهم في حدود تنمية الحبكة، والخطيب لا يخلق حبكا للحكاية حتى وإن ضمن خطابه عنصرا سرديا. إن نواة الشعرية تتبلور في العلاقة بين كلمات مفاتيح هي : الإنتاج (poiesis) والحكي (Muthos) والمحاكاة (mimesis) والحبكة (intrigue)، وبهذا يعارض نواة الخطابية التي هي الحجاج، أما من حيث الهدف والوظيفة فإن الشعر يستهدف التطهير في حين تستهدف الخطابة الإقناع). (**العمري**، **البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول**، 2012، **الصفحات** 17ـ18)

ومما تقدم ذكره فإن الفصل بين الشعرية والخطابية، فصل في المكون المميز لكل منهما، إذ يظل مجال الشعر التخييل، ومجال الخطاب التداول، لتصبح البلاغة بذلك علما يشمل كل الخطابات، وهذا ما يصطلح عليه "البلاغة العامة".

6. صور الحجاج

1.6 القياس

يعد القياس آلية من الآليات التي تستعمل في شتى العلوم والمجالات، وذلك للوصول إلى حقائق الأشياء، أو اكتشاف خاصية من الخصائص التي تميز علما من العلوم، أما في المجال البلاغي الخطابي فإن كلمة "القياس" لا يمكن حصرها في قياس واحد، وذلك لتباين الخطابات من جهة، واختلاف طرق البرهنة والاستدلال من جهة ثانية. وعلى هذا الأساس نجد أنفسنا أمام أقيسة كثيرة، حيث كل قياس يعنى بخطاب بعينه، إلا أن القياس الذي اهتم به "العمري" هو القياس الخطابي الذي يراه قياسا فضفاضا. (كثيرا ما جمعت الآليات المتعلقة بهذا الجانب تحت عنوان شامل: القياس الخطابي. وهو يتسع ليشمل جميع صور الاستقراء والاستنتاج القائمة على الاحتمال لا القطع، قد يضيق ليدل على القياس الذي تضمر نتيجته أو إحدى مقدمتيه). (**العمري**، **البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول**، 2012، **صفحة** 71)

وبذلك فالقياس لا يكون إلا انطلاقا من مقدمتين. (إنه لا يجب قياس إلا عن مقدمتين لإحداهما بالأخرى تعلق). (**ابن وهب**، 1969، **صفحة** 68)

كما يؤكد "العمري" على أن نتائج القياس لا تكون نتائج محسومة بصفة قطعية لا تدع للشك مجالا، بل إن نتائجه مبنية على الاحتمال والترشيح. وبذلك عد مجالا خصبا لقيام الحجاج، ولا يحيط بعلمه إلا من أوتي حسنا في استعماله ووقوفا على آلياته ونماذجه. (والحقيقة التي نؤكدها هنا هي أن القياس بجميع أنواعه وتشكلاته هو ركيزة رئيسة من ركائز الخطاب بجميع أجناسه. ولا يوجد خطاب إلا ويستعين بهذه الوسيلة ليقنع المتلقي أو يؤثر فيه، أو ينقل إليه تصوراته وتخيلاته، وأحيانا كي يخدعه ويغالطه. لهذا عد القياس وسيلة خطيرة لمن لا يحسن استعماله، أو يسيء فهمه وينخدع نتائجه، بسبب عدم الإحاطة بصوره وتجلياته ومخاتلته). (صولة، **البلاغة العربية في ضوء البلاغة الجديدة** (أو الحجاج)، 2013، **صفحة** 175)

وبما أن القياس لا يخضع في بنائه إلى شروط علمية دقيقة، فقد حصر "العمري" قيامه على الرأي بما يضعه في دائرة الاحتمال. (ففي حين يقوم القياس المنطقي على الاستنتاج العلمي الصارم، يقوم القياس المضمر، أي القياس الخطابي على الرأي [...] فالقياس المضمر هو قياس يقوم على الاحتمالات). (**العمري**، **في بلاغة الخطاب الإقناعي**، 2002، **صفحة** 71)

ويقدم "العمري" نماذج للقياس الخطابي تتمثل في التعارض والتضاد، ويضرب مثالا لذلك عن الحجّاج حين زعم الناس أنه ساحر، والساحر في القرآن الكريم لا يفلح حيث أتى، والحجّاج أفلح. وهذا تعارض وتضارب في القول، فلو أنه كان ساحرا لما أفلح. (قال الحجّاج: زعمتم أني ساحر، وقد قال الله تعالى: "ولا يفلح الساحر"، وقد أفلحت. وتخريجه:

لا يفلح الساحر

أفلح الحجاج

إذن: ليس الحجّاج ساحرا، (أو هم كاذبون، لأن تصديقهم يؤدي إلى تكذيب الله، والله أكبر منهم، فلا مفر إذن من أن ينكسر الأصغر)) (**العمري**،2002، **ص** 73).

فهذا النوع من القياس فيه تعارض لكون قائله يطلق كلاما في حق المتلقي لا يليق به ولا يطابقه، فهو كلام يدخل في دائرة التناقض والتعارض.

وما أراد "العمري" أن يبينه هو أن مصطلح "القياس" عرف استعمالا واسعا في الخطابة العربية بمختلف أنماطه وأشكاله. (وقصارى ما نريد بيانه، بعد، هو أن الخطابة العربية استعملت أقيسة عقلية متنوعة يدخل أغلبها فيما أحصاه أرسطو، وذلك حتى قبل اتصال العرب بالفلسفة اليونانية اتصال ترجمة ودراسة وتأثر، وهذه البراهين والأقيسة تعود إلى طبيعة العقل الإنساني ومبادئه). (**العمري**، **في بلاغة الخطاب الإقناعي**، 2002، **الصفحات** 79ـ80)

ثم ما يلبث أن ينقلنا إلى أن القياس الخطابي (المضمر) القائم على الاحتمال إنما مجاله الذي يخوض فيه هو مجال الخطابة وخاصة القضائية منها، في إشارة منه إلى "أرسطو". (والقياس الخطابي يقوم على الاحتمال والترجيح، كما سبق، ومجاله الأساسي في نظرية أرسطو المرافعات القضائية. والمعروف أن هذا النوع من الخطابة لم تكن له أهمية كبيرة في العصر الذي ندرسه. على أن الواقع يقتضي الاعتراف بأن بعض المواقف التي يسعى فيها الخطباء إلى دفع التهمة أو التبرؤ من الوشاية أو تبريء ذمة القبيلة لا يمكن فصلها عن الخطابة القضائية إلا لاعتبارات تكاد تكون شكلية). (**العمري**، **في بلاغة الخطاب الإقناعي**، 2002، **صفحة** 80)

وبذلك يحصر "العمري" القياس الخطابي في دائرة الخطابة، ليشمل كل أشكال الاستنتاج والاستقراء اللذين تحدث عنهما "أرسطو" في خطابته. (نجد في خطابة أرسطو وسيلتين منطقيتين أساسيتين هما الاستنتاج والاستقراء اللذان تعود إليهما البنيتان المنطقيتان الخطابيتان: الضمير والمثال، [...] فالضمير، حينئذ، إنما هو أقرب إلى مجال الخطابة منه إلى مجال المنطق، فهو يتوفر على إنتاجية استثنائية وخصوبة لافتة قائمة أساسا على الإضمار وعدم التصريح، فعنصره المفقود إنما يبنيه السامع ويستنتجه من خلال تحريك المضمر وكشفه وتعرية الغائب وفضحه). (**الشبعان**، 2013، **الصفحات** 953-954)

2.6 **المثل**

يعتبر المثل وسيلة من الوسائل التي يجنح لها الخطيب في تعزيز آرائه، والتدليل على صحة ما يقول، وبذلك يكتسب المثل قيمة حجاجية كبرى في قيام جل الخطابات التي تقوم أساسا على صور المشابهة بين حالتين أو أكثر، وقد صور "العمري" المثل وعده صورا من صور الحجاج، كما أشار إلى "أرسطو" وتصنيفه إياه إلى صنفين: تاريخي ومصطنع. (يقوم المثل في الخطابة مقام الاستقراء في المنطق، أو المثل هو استقراء بلاغي. والمثل حجة تقوم على المشابهة بين حالتين في مقدمتها، ويراد استنتاج نهاية إحديهما بالنظر إلى نهاية مماثلتها. وهو عند أرسطو تاريخي ومصطنع). (**العمري**، **في بلاغة الخطاب الإقناعي**، 2002، **صفحة** 82)

وبهذا الكلام الذي ساقه "العمري" يكون قد أحالنا إلى البعد الحجاجي للمثل في كونه لا يقف عند لون واحد فحسب، بل تتعدد ألوانه وصوره تبعا لتغير المقامات، ليراد به الوصول نهاية إلى نتيجة مشابهة للحالة التي مثل لها الخطيب. (فالتمثيل – إذن- وسيلة حجاجية ذات تأثيرات في المتلقي من جهات عدة، فهو خطاب للعقل بوصفه ينقل العقل من المعنى في الحالة التصورية العادية إلى الحالة التصديقية؛ لأنه بمثابة إحضار المعنى المدعى ليشاهد كما هو في الواقع، فكأنه – والحالة هذه- يقول لك هذا هو انظر إليه) (**مجموعة من المؤلفين**،2013، **ص** 179). (فأنت إذن، مع الشاعر وغير الشاعر إذا وقع المعنى في نفسك غير مُمَثَّلٍ ثم مثله كمن يخبر عن شيء من وراء حجاب، ثم يكشف عنه الحجاب ويقول: " هاهو ذا، فأبصر تجده على ما وصفتُ"). (**الجرجاني**، 1991، **صفحة** 122)

كما يضيف "العمري" إضافة تضع المثل كعنصر فعال في تحقيق الإقناع، لما له من أثر بالغ جاء على لسان القرآن الكريم، وهذا ما فسح مجالا واسعا لاستثماره في البلاغة العربية.

(وانتبه دارسو النص القرآني والبلاغيون العرب بالممارسة والمثاقفة إلى أهمية المثل في إحداث الإقناع). (**العمري**، **في بلاغة الخطاب الإقناعي**، 2002، **صفحة** 83)

ونوه "العمري" بأن القدماء قد عرفوا المثل وتجاوبوا معه على ألسنة الإنس والحيوان من كلام نقله عن "ابن وهب" صاحب كتاب "البرهان في وجوه البيان" ما نصه: (وأما الأمثال فإن الحكماء والعلماء والأدباء لم يزالوا يضربون ويبينون للناس تصرف الأحوال بالنظائر والأشكال، ويرون هذا النوع من القول أنجع مطلبا، وأقرب مذهبا. ولذلك قال الله عز وجل: "ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل" (سورة الروم، الآية 58) وقال: "وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم، وتبين لكم كيف فعلنا بهم، وضربنا لكم الأمثال" (سورة إبراهيم، الآية 45) وكذلك جعلت القدماء أكثر آدابها وما دونته من علومها بالأمثال والقصص عن الأمم، ونطقت ببعضه على ألسن الطير والوحش، وإنما أرادوا بذلك أن يجعلوا الأخبار مقرونة بذكر عواقبها، والمقدمات مضمومة إلى نتائجها). (**ابن وهب**، 1969، **صفحة** 117،119)

يستفاد من هذا الكلام أن المثل ليس حديث عهد بالبلاغة العربية، بل هو قديم ويمثل زاوية من زوايا الخطاب. (وإذن، فالعرب في العصور الإسلامية الأولى – سواء كانوا منتجين للخطاب أو متلقين له، أو باحثين فيه- على علم كبير بما للتمثيل من أهمية خاصة في التأثير في المتلقين من جهة، وفي جماليات الخطاب من جهة ثانية). (صولة، البلاغة العربية في ضوء البلاغة الجديدة (أو الحجاج)، 2013، **صفحة** 181)

وهذا ما دفع بـ "العمري" إلى اعتبار المثل ركيزة أساسية في قيام الخطابة، وقد يتسع معناه ليشمل صور البيان. (والواقع أن المثل يعتبر دعامة كبرى من دعائم الخطابة لما يحققه من إقناع وتأثير، وإذا أخذناه بمعناه الواسع الذي يشمل التشبيه والاستعارة، ولن نفعل ذلك إلا في حدود ضيقة، صار أهم دعائم هذه البلاغة). (**العمري**، **في بلاغة الخطاب الإقناعي**، 2002، **صفحة** 85) وبذلك تتضح معالم المثل كونه لا يحيل إلى وظيفة إقناعية فقط، بل يتجاوز ذلك إلى الخوض في أقسام البيان التي أشار إليها "العمري".

إلا أن وظيفة المثل لا تقف عند البيان فحسب، وإنما تكمن في خاطر الفرد الواحد منا يتمثلها ويستحضرها في كل خطاب، وهذا ما أشار إليه "ابن رشيق". (والمَثَل والمِثْل: الشبيه والنظير، وقيل: إنما سمي مثلا لأنه ماثل بخاطر الإنسان أبدا، يتأسى به، ويعظ ويأمر ويزجر، والماثل: الشاخص المنتصب، من قولهم: طلل ماثل أي شاخص). (**ابن رشيق**، 2003، **صفحة** 232)

(فهذا الكلام من ابن رشيق يدل دلالة واضحة على أن وظيفة المثل هنا ليست البيان فقط، وإنما أن يميل بخاطر الإنسان أبدا كما هو قارّ عنده، والمثل ينتصب بقوة كالشاخص على القضية المطروحة في الخطاب. فوظيفة المثل – إذن- حجاجية، وهي وظيفة أشار إليها ابن رشيق في ثنايا كلامه، ولم يصرح بها). (صولة، البلاغة العربية في ضوء البلاغة الجديدة (**أو الحجاج**)، 2013، **صفحة** 178)

3.6 الشاهد

يكتسي مفهوم "الشاهد" في الخطاب البلاغي والنقدي قيمة عليا، إذ يحصره "أرسطو" في الخطابة القضائية التي تقوم على استحضار الشهود والأقوال. في حين نجده في الخطابة العربية شديد الصلة بالشعر الذي يعد ديوان العرب ولسانهم الناطق، ومع مجيء الإسلام أضحى القرآن الكريم وحديث رسوله صلى الله عليه وسلم من أجل وأعظم المصادر التي يستشهد بها. (تسمى هذه الوسائل المستعملة في هذا الصدد عند أرسطو الحجج الجاهزة أو غير الصناعية. ويدخل في نطاقها القوانين والشهود والاعترافات وأقوال الحكماء، وتختص إجمالا بالخطابة القضائية. ومنها في الخطابة العربية تضمين الآيات القرآنية والآحاديث وأبيات الشعر والأمثال والحكم. وهي حجج جاهزة تكتسب قوتها من مصدرها ومن مصادقة الناس عليها وتواترها، وتدخل الخطيب ينحصر في اختيارها وتوجيهها إلى الغرض المرصودة للاستدلال عليه). (**العمري**، **في بلاغة الخطاب الإقناعي**، 2002، **صفحة** 90)

يستدل من هذا الكلام الذي أورده "العمري" أن طبيعة الشاهد لا يمكن حصرها في قول مخصوص مطلق، بل إن تمثله في الخطاب يعزى إلى أشكال عديدة من القول تمارس سلطة على المخاطَب في إمكانية الرجوع إليها والاحتجاج بها. وبذلك تتحقق الحجاجية في الشاهد. (وهو يتحقق عندما يستند الخطاب إلى أقوال تشكل سلطة مرجعية يعترف بها المخاطب، وتحظى بالنفوذ في مجاله السوسيوثقافي. وتسمى هذه الأقوال عند البلاغيين: الشواهد، وهي تقتبس تحديدا من القرآن والحديث النبوي والشعر والأمثال والحكم. ولهذه الشواهد وظيفة حجاجية مهمة). (**المودن**، 2013، **صفحة** 446)

إذ تتحدد الوظيفة الحجاجية للشاهد في تحصيل الإقناع لدى المخاطَب، أو دفعه إلى الاقتناع بالتسليم، وذلك مانلمسه في المناظرة.

(لتحقيق الاقتناع، تستند المناظرة إلى أقوال تشكل سلطة مرجعية معترف بها، قادرة على تجاوز ومعارضة الخصم وانتزاع تسليمه. وهذه الأقوال هي الشواهد. وترتبط تحديدا في التراث العربي الإسلامي بالآيات القرآنية والحديث النبوي والأبيات الشعرية والأمثال والحكم. وهي حسب الدكتور محمد العمري " حجج جاهزة تكتسب قوتها من مصدرها ومن مصادقة الناس عليها وتواترها). (**عادل**، 2013، **صفحة** 233)

إذا ماتأملنا قول " العمري" عن الشاهد نجده قد ألبسه لباسا شعريا، فكثيرا ما اعتمدت العرب قديما على الشاهد الشعري في خطبها ومناظراتها.

(وقد جرى خطباء العرب منذ العصر الجاهلي على التمثل بالشعر في خطبهم، وهي ظاهرة مميزة في الخطابة العربية). (**العمري**، **في بلاغة الخطاب الإقناعي**، 2002، **صفحة** 91)

ومن أمثال الخطباء الذين اشتهروا ببناء خطبهم على الشواهد الشعرية، الحجّاج وأمثاله كثر، ولاعجب في ذلك فقد عرفت البلاغة العربية رواجا واستقرارا في تعاطيها مع النص الشعري وهي في عهدة الأمويين.(واعتمد علماء اللغة الشعر مصدرا أساسا للاحتجاج والاستشهاد على صحة وسلامة ما ينقلونه من كلام العرب. وتم يكن اعتمادهم الشعر عبثا، وإنما كان ذلك لما يتمتع به هذا الجنس الأدبي من أهمية تكمن في كونه أصلا من أصول الثقافة العربية الإسلامية [...] والشعر العربي إضافة إلى كونه مصدرا من مصادر الاستشهاد على القواعد الكلية للغة العربية، وأداة لفهم معاني القرآن ومقاصده، هو أيضا شاهد على إعجاز القرآن). (**الرشدي**، 2014، **الصفحات** 25ـ26)

وعلى هذا تتعزز مكانة الشعر لتتصدر كل الشواهد، إذ هو ديوان العرب ومصدر عزهم، ومازاده عزا حسن اقترانه بالقرآن ليكون وثيق الصلة به.

(إن أهمية الشعر في الحضارة العربية الإسلامية باعتباره من أبرز خصائصها ومدخلا ضروريا لدراستها وفهم روحها أمر لا يحتاج إلى دليل. يكاد يجمع المهتمون بها على أن شأن الشعر فيها لا يوجد في حضارة سواها. وأنه قلَّ أن نصادف في تاريخ الإنسانية الطويل قوما اهتموا بأدبهم اهتمام العرب بشعرهم"). (**صمود**، 1991، **صفحة** 23)

(لذلك كانت للشعر قوته في البناء اللغوي والمعرفي والإقناعي داخل هذه الثقافة، وليس أدل على ذلك من اعتماده آلة لتفسير القرآن وكشف مقاصده، هذه المنزلة السامية التي تبوأها الشعر في علاقته بكتاب الله، أكسبته حجية قوية وفعالة في تحقيق الترجيح وفي قطع الشغب، وفي إيقاع التصديق). (**عادل**، 2013، **صفحة** 234)

وإلى جانب اعتماد الشاهد الشعري كصورة حجاجية، اتجه الخطباء إلى توظيف الشاهد الديني. وهذا مانوه به"العمري" حين أورد كلاما لـ"الجاحظ" هذا نصه:

(وكانوا يستحسنون أن يكون في الخطب يوم الحفل ، وفي الكلام يوم الجمع آي من القرآن، فإن ذلك مما يورث الكلام البهاء والوقار، والرقة وسلس الموقع. وكان عمران بن حطان خطب خطبة أعجب بها الناس، ثم إنه مر ببعض المجالس فسمع رجلا يقول لبعضهم: هذا الفتى أخطب العرب لو كان في خطبته شيء من القرآن). (**الجاحظ**، 1998، **صفحة** 118)

يستفاد من هذا الكلام أن المعيار الذي تقاس به جودة الخطاب هو مدى اقتباسه من القرآن الكريم. (والشاهد القرآني هو أعلى الحجج، فلا يقبل المخاطب خلو الخطاب من الآيات القرآنية. ولو بلغ هذا الخطاب أعلى درجات البلاغة، فإن ذلك لا يعفيه من الاستشهاد بالقرآن). (**المودن**، 2013، **صفحة** 447)

ثم يضيف "العمري" إضافة لا تجعل الاقتباس حكرا على الخطباء الدينيين، بل هو متاح لكل الخطباء.

(ولم يكن الاقتباس من القرآن مقصورا على الخطباء الدينيين

بل استفاد من إمكانية تأثير النص القرآني جميع الخطباء، على تفاوت في ذلك). (**العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي**، 2002، **صفحة** 92)

7. خاتمة

وممّا تقدم ذكره نخلص إلى أن البلاغة عند " العمري " تراوحت بين قطبين: قطب تخييلي يُعزى إلى مجال شعري يُعنى بالعبارة وما تحيل إليه من الصور التي تمثل جانبا من حياة الإنسان، وقطب تداولي يُعزى إلى مجال خطابي يُعنى بالخطاب ووظيفته ومدى فاعليته التي تكمن في مراعاته لفكرة المقام، تحقيقا للقصد منه، وإحداثا للتواصل والتفاعل، لتكون البلاغة ذلك النسق العام الذي تتقاطع فيه ثنائية الشعر والخطابة، مم يستدعي حضورا ملزما للحجاج وصوره المتمثلة في (القياس، المثل، الشاهد).

ويمكن أن نصوغ النتائج المتوصل إليها في النقاط الآتية:

- ترتبط البلاغة العربية ارتباطا وثيقا بعنصري: التخييل والتداول.
- يمثل التخييل الجانب الشعري، والتداول الجانب الخطابي.
- البلاغة العامة نسق عام يستوعب الجانبين معا.
- إمكانية الوصل أو الفصل بين ماهو شعري وما هو خطابي.
- التأكيد على الحجاج كقيمة ثابتة في تقاطعاته مع البلاغة.

تضارب المصالح

❖ يعلن المؤلفان أنه ليس لديهما تضارب في المصالح.

ـ المصادر والمراجع

أبو الحسين ابن وهب. (1969). البرهان في وجوه البيان. القاهرة، مصر: مطبعة الرسالة.

أبو علي الحسن ابن رشيق. (2003). العمدة (المجلد الأولى). بيروت، لبنان: دار صادر.

الجاحظ. (1998). البيان والتبيين (المجلد السابعة). القاهرة، مصر: مكتبة الخانجي.

أمينة الدهري. (2011). الحجاج وبناء الخطاب في صور البلاغة الجديدة (المجلد الأولى). الدار البيضاء: شركة النشر والتوزيع للمدارس.

جميل حمداوي. (2014). من الحجاج إلى البلاغة الجديدة. المغرب: إفريقيا الشرق.

حازم القرطاجني. (1986). منهج البلغاء وسراج الأدباء. بيروت، لبنان: دار الغرب الإسلامي.

حسن المودن. (2013). دور المخاطب في إنتاج الخطاب الحجاجي. تأليف حافظ إسماعيلي علوي، الحجاج مفهومه ومجالاته (المجلد الأولى، صفحة 446). الجزائر: ابن النديم للنشر والتوزيع.

حمادي صمود. (1991). التفكير البلاغي عد العرب. تونس: منشورات الجامعة التونسية.

حمو النقاري. (2006). التحاجج طبيعته ومجالاته ووظائفه (المجلد الاولى). الدار البيضاء، المغرب: مطبعة النجاح الجديدة.

رشيد يحياوي. (1991). الشعرية العربية (المجلد الأولى). المغرب: إفريقيا الشرق.

عبد القاهر الجرجاني. (1991). أسرار البلاغة. القاهرة، مصر: مطبعة المدني.

عبد اللطيف عادل. (2013). بلاغة الإقناع في المناظرة (المجلد الأولى). الرباط، المغرب: دار الأمان.

عبد الله الرشدي. (2014). الشاهد الشعري وأسئلة البلاغة والتلقي (المجلد الأولى). مراكش، المغرب: المطبعة والوراقة الوطنية.

عبد الله صولة. (2013). البلاغة العربية في ضوء البلاغة الجديدة (أو الحجاج). تأليف حافظ إسماعيلي علوي، الحجاج مفهومه ومجالاته (المجلد الأولى، صفحة 175). الجزائر: ابن النديم للنشر والتوزيع.

عبد الله صولة. (2013). البلاغة العربية في ضوء البلاغة الجديدة (أو الحجاج). تأليف حافظ إسماعيلي علوي، الحجاج مفهومه ومجالاته (المجلد الأولى، صفحة 181). الجزائر: ابن النديم للنشر والتوزيع.

علي الشبعان. (2013). الحجاج وقضاياه من خلال مؤلف روث آموسّي الحجاج في الخطاب. تأليف حافظ إسماعيلي علوي، الحجاج مفهومه ومجالاته (المجلد الأولى، الصفحات 953-954). الجزائر: ابن النديم للنشر والتوزيع.

محمد الأمين الطلبة. (2013). الحجاج مدخل نظري تاريخي. تأليف حافظ إسماعيلي علوي، الحجاج مفهومه ومجالاته (المجلد الأولى، الصفحات 73-74). الجزائر: ابن النديم للنشر والتوزيع.

محمد الأمين الطلبة. (2013). مفهوم الحجاج عند بيرلمان وتطوره في البلاغة المعاصرة. تأليف حافظ إسماعيلي علوي، الحجاج مفهومه ومجالاته (المجلد الأولى، الصفحات 884-885). الجزائر: ابن النديم للنشر والتوزيع.

محمد العمري. (2013). أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة. المغرب: إفريقيا الشرق.

محمد العمري. (2013). أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة. المغرب: إفريقيا الشرق.

محمد العمري. (2012). البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول (المجلد الثانية). المغرب: إفريقيا الشرق.

محمد العمري. (1999). البلاغة العربية أصولها وامتداداتها. المغرب: إفريقيا الشرق.

محمد العمري. (2013). الحجاج مبحث بلاغي فما البلاغة؟ تأليف حافظ إسماعيلي علوي، الحجاج مفهومه ومجالاته (المجلد الأولى، صفحة 123). الجزائر: ابن النديم للنشر والتوزيع.

محمد العمري. (2002). في بلاغة الخطاب الإقناعي (المجلد الثانية). المغرب: إفريقيا الشرق.

محمد الولي. (2013). الحجاج مدخل نظري تاريخي. تأليف حافظ إسماعيلي علوي، الحجاج مفهومه ومجالاته (المجلد الأولى). الجزائر: دار النديم للنشر والتوزيع.

محمد الولي. (أكتوبر-ديسمبر 2011). مدخل إلى الحجاج. عالم الفكر ، صفحة 15.

كيفية الإستشهاد بهذا المقال حسب أسلوب APA :

المؤلف عبد الباسط ضيف، عيسى أخضري، (2020)، التخييل والتداول عند محمد العمري ، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، المجلد 12، العدد 02، جامعة حسيبة بن بوعلي بالشلف، الجزائر، الصفحات. ص ص: 195-203